دراسات أدبية

لعل خير ما افاد الجيل العربي الجديد من مجلاته الادبية انها كانت صلة التعارف بين الاقطار الشقيقة تعرض في صفحاتها آراء الكتاب العرب ، وتوجه الافكار الى نواحي الابداع والجودة في منتجاتهم ، وتخلق من ميدانها معرضاً للعقول والنفوس ..

واحسب ان كثيرين من قراء مجلة الكتاب المصرية لمسوا فيها اتجاها خاصاً الى التعريف بالكتاب والشعراء ، فكانت هذه الناحية مثار اهتمامهم خاصة ، وكانوا في اشد اللهفة الى هذه السلسلة التي قدمها الاستاذ الغضبان يستعرض فيها دواوين الشعر في العالم العربي ويتناولها بالتعريف والتعليق ثم لا ينسى ان يوجد الصلة بينها وبين طبيعة الاقليم وتأثير الوسط الاجتماعي..

وما تكاد المجلة تصل الى القارئ حتى يسارع اول ما يسارع الى هذه البحوث كأنه معها على موعد ، فاذا اقبل على قراءتها احس بشيء من الغبطة والاستئناس وشعر انه قريب من اخوانه العرب ولو بعدت بينهم الشقة .

وقد كنت انتظر من الاستاذ الغضبان حين عرج على حلب من شهور في المقالات التي كتبها بعنوان « دواوين » ان يطيل فيها مقامه ، ولكن شعرت بوخز الخيبة ، حين اعلن سلفاً انه لن يطول به المقام ، ولم ؟ لأن (حلب التي انبعث منها اول خيط من فجر النهضة والتي اعترت في العهد الاخير بكوكبة نيرة من الشعراء ، لم يحظ منها الاستاذ الغضبان في الدواوين الجديدة الا بديوان « حروف من نار » للاستاذ عمر ابي قوس ،

وقد كون متجنياً على الاستاذ الغضبان بتكليفه البحث عن كل شاعر ، وقد يكون محقاً في رده علي وقوله ان مثل هذا العمل يتطلب وقتاً وجهداً واسفاراً ضخمة لا تتسع لها مقالة او مقالات ولكن هذا كله لا يمنعني من التذكير بشاعر حلبي من مردة الشعر اسمه ـ عمر ابو ريشه ـ له مدرسته الخاصة واثره الواضح .

واذكر ان للاستاذ ابي ريشة مجموعة كبرى من الشعر فهناك روايته « ذي قار » وهي من بواكير انتاجه ايام حداثته ولديه ديوانه « شعرة وهو المغني يحدثنا هذا بعد ان اعيد طبعه فحذف منه واضيف اليه ، ولديه الملاحم في التاريخ العربي التي تطبع بعد . ثم لديه مجموعة كبيرة من الشعر السياسي وغيره قيلت في كثير من المناسبات ولكنه لم يتوفر على نشرها .

وشعر عمر سهل مأنوس ينسكب في السمع في يسر وسهولة فسرعان ما يلامس القلب ، وهو غني بصوره واحاسيسه غني بالفكر المبتكرة الرائعة ، واذا كان الاستاذ الغضبان حريصاً على الثالوث الشعري ـ المعنى واللفظ والموسيقى ـ فمن المؤكد انه سيجد ذلك كله عند عمر في ثوب رائع جميل .

يقول في مطلع مسرحيته الصغيرة ـ عذاب ـ :

جمال الحياة على مقلتيك ... سكبت فؤادي فلا تهجع

عصرت على شفتي المنا ... فسالت نعيما على اضلعي

عرفت بك الله بعد الضلال ... فدل البديع على المبدع

فصبحت نجوى الهنا في فمي ... وسر السعادة في ادمعي

اغنيك حي وهذا الوجود ... ضحوك الثنايا يغني معي

هذا نوع من الشعر يندر ان نسمعه من شاعر غير عمر واحسب انه ليس من الشعر المألوف ، وانما يقع في آذاننا موسيقى سحرية نطرب لها ونستأنس ونود لو تطول انغامها فلا تنقطع .. واعتقد ـ غير مجازف ـ انه من الصعب ان نجد صورة للغبطة بالجمال تضارع هذه الصورة في جودتها وابتكارها

عمر ابو ريشه

بقلم نهاد الرهاوي

مع الاستئذان من الاستاذ عادل الغضبان

حتى ليخيل الينا ان الالفاظ تتراقص فرحة وان جميع صور لانس والسعادة قد قسمت فيها اشباح وظلال تضحك وتطرب وتتثني

ثم نجد له قطعة غنائية في مسرحية ثانية لا تقل روعة عن القطعة الماضية وان اختلفت عنها في الاتجاه :

يا قلب حزنك ما اشده خفر الحبيب اليوم وده
ماذا عليك اذا تناسيت الهوى وطويت عهده
امن المودة ان تعيث باضلعي امن المودة

***

كم مرتع بتنا به والليل حاك عليه برده
ولكم اذعت اليه وجدي في الهوى واذاع وجده
وكم انبرى حلو الدلال ومدلي نشوان زنده
حتى اذا طوقته ادميت بالقبلات خده

وواضح اننا نلمس من هذه القطعة حرقة ولهفة في الفاظ مشرقة منسجمة ، جمعتها موسيقى ناعمة توافق هذا الجو دون قفوز او اضطراب ، فجاءت هذه البيوت القليلة غاية في الروعة غاية في الابداع ومثل هذا الشعر كثير في ديوان عمر .

ثم ان لهذا الشاعر قدرة غريبة على الابتكار فهو يلبس المعاني الخرساء صوراً ناطقة معجزة وقد تقع على كثير من الفكر الملساء التي تنحسر عنها الصور فاذا تناولها عمر ونفخ فيها من روحه تبدت انيقة المظهر محكمة الوضع من ذلك قوله في قطعة « حسود » التي حذفت من ديوانه في الطبعة الاخيرة .

رب رقطاء في الفلا شفها الجوع فخارت ونال منها الذهول
صفرت صفرة الجنون ولما طاش حسبانها وضاق السبيل
حركت نابها وعضت على البطن وماتت ولم يبل غليل

ومن ذلك قوله في قطعة يستعرض فيها قصة ديك الجن الشاعر الحمصي :

من اين والداء العضال اقام في جنبي حربا
ومراكب الايام شقت جبهتي دربا فدربا

وهذه الصورة الاخيرة بالغة حد الروعة في التعبير والتمكن من البيان ، حتى ليقف الانسان مبهوراً امام هذه الصورة الجديدة المبتكرة ، واذكر اننا ألفنا ان نسمع الكثير مما يقال في الهرم والضعف ولكن هذا الذي جاء به عمر في جدته فريد في سموه واشراق لفظه .

ويقول في قطعة له صغيرة عنوانها (عزاء)

اما الصبا فلقد مرت لياليه فابكيه يا عفة الجلباب فابكيه
ملكت قلبك عن روض الهوى زمنا واليوم روض الهوى غيضت سواقيه
بالامس ان جئت ابدي ما اكابده لويت جيدك عما كنت ابديه
واليوم جئتك لا صباً ولا كلفا بل للجمال الذي يذوى اعزيه

قصة كاملة الاقسام ، تامة العناصر ، توفرت للشاعر في كثير من الايجاز وتوفق اليها في سهولة ويسر .

ثم ان عمر يعرف كيف يتناول الفكر والخواطر فيعرضها شعراً بارع المنظر وارو ع صورة ، لقد قال لبعض اصدقائه ان البلبل لا يغسل في قفص فاخذ شاعرنا هذه الخاطرة ليقول فيها :

حلم تخلى عنه في رغده هل يقدر النوح على رده
لو يعلم الصياد ما صيده لم يجعل البلبل في صيده
اسقمه العيش على وفره لما رآه ليس من كده
واين مخضل الجنى حوله من زنبق الروض ومن ورده

***

طوى المنى نوحا ولكنما لم يفنه النوح ولم يجده
كأنه من طول ما مضه من عبث الدهر ومن كيده
ابى عليه الكبر ان يورث الافراخ ذل القيد من بعده

هذه نواحي متفرقة من شعر ابي ريشه جمعتها من اطراف ديوانه ولا اقول انها من اجود ما عنده ولكن هذا الشاعر قليل العناية بنفسه ولو كان يعيش في جو غير هذا الجو لكان له وكبر ولكنه لا يبالي ان يهتم به الناس او لعل روحه الشعرية تصرفه عن اهتمام الناس به وقد اشار الى هذا في مطلع ديوانه :

لمن تعصر الروح يا شاعر اما لضلال المنى آخر
أللحب ؟ اين النفات الفتون اذا هتف الامل العاثر
أللهو ؟ كم دمية صنتها ومزقها ظفرك الكاسر
أللمجد ؟ ماذا يحس القتيل اذا ازور أو بسم العابر

وبعد فقد يكون لعمر سقطات طفيفة في شعره ولكن هذا لا يجرح من قيمته كشاعر مجيد ولا ينقص من قدره كانسان عبقري يحسن تصوير ما يقع في نفسه وقد يأتي الوقت الذي ينصفه فيه الناس فيعرفون له قدره ومنزلته ؟

بيروت نهاد الهبراوي